

إنهم يقرؤون ويتدبرون

- ١ ثلاث سنين قضيتها في العلاجات والأطباء والأعشاب؛ لأرزق بطفل، وفي يوم ما، وبعد أن قاربت الوصول إلى اليأس، كنتُ أقرأ: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فقلت: إذا كان خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، فهو قادر على أن يخلق جنيناً في رحمي، وما هي إلا أيام معدودات حتى حَمَلْتُ، وأنعم الله عليّ بطفلتي الجميلة، فله الحمد والشكر.
- ٢ بعد سلوكي طريق الاستقامة هجرني القريب، ولأمني البعيد، وأحسستُ بالوحشة، بدأت بلوم نفسي لعلني أخطأت الطريق، وفي يوم بلغ الأمر مبلغه، وأنا أقرأ حزبي من القرآن استوقفتني آية: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ فعاد السكونُ إلى قلبي، وأحسستُ ببرد اليقين.
- ٣ كنت أقومُ ببعض المعاصي، طاعة لزوجي، مع أنها محرمة؛ تَجَنَّبْتُ لَغْضَبِهِ، حتى قرأتُ ذات مرة الآية: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فارتجتُ قلبي، وارتعدتُ فرائصي، وبكيتُ خوفاً، وعاهدتُ الله ألا أعصيه ولو غضب زوجي.
- ٤ لقد تأثرتُ بآية في كتاب الله، وكانت سبيلي للهداية، وهي قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ فقد كنتُ أرددها في نفسي وأنا ذاهبة للكلية وخارجة منها، وفي أغلب أحوالي، مع خوف واستشعار لهذه الآية، والحمد لله تغيَّرَ حالي، واهتديتُ بفضل الله، وأصبحتُ حافظة لكتاب الله، نسأل الله الثبات.
- ٥ كثيراً ما أشعر بتأنيب لنفسي عند كسلي في القيام بما يجبُ عليّ مثلني وأنا أقرأ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فكنْتُ إذا قلتُ قولاً، ثم تكاسلتُ في فعله أهدبُ نفسي بهذه الآية، فأفعل هذا الأمر من غير تكاسل، ولله الحمد.
- ٦ كانت لي قصة مع هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ فقد كنتُ طالبة بالتحفيظ وتدبرتها، وأثرتُ على سلوكي فجاهدتُ حتى بلغني ربي مستوى ومكانة عالية في قلوب الجميع، ولله الحمد.
- ٧ كادت الشهوة ترديني الهاوية - عياداً بالله - حتى تدبرتُ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِمْ زُرْعًا مِنَّمْهُمُ الزُّهْرَةُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لِيَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ حَيْرٌ وَابْتِئَىٰ﴾ فجعلتُ أرددُ وأتدبر: ﴿حَيْرٌ وَابْتِئَىٰ﴾؛ فصغرتُ الشهوة في عيني.
- ٨ حدتُ بيني وبين أحد إخوتي سوء تفاهم؛ فأرسلَ رسالة جوال تحمل اتهامات باطلة، وظنوناً سيئة، وكلمات مؤلمة؛ فغضبتُ وكدت أن أدفعَ الإساءة بمثلها، فقرأتُ قولَ أحد ابني آدم: ﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيْدَكَ لِنَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فعلمتُ أنَّ المؤمن يجب أن يجعل خوف الله نصبَ عينيه، ولا تغلبه حظوظ النفس، وتأخذَه العزة بالإنثم؛ فأثرتُ كظمَ غيظي، والنفو عنه، والإحسان إليه.
- ٩ كان بيني وبين الصُّحبة الصالحة بعضُ المشاكل، حتى وسوس لي الشيطان ترَكهم، فقرأتُ قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَنَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ فكان ذلك أعظمَ مثبتٍ لي معهم، وعلمتُ أنه «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية».

١٠) كُنْتُ أَصْلِيَّ بِالنَّاسِ فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ، فَلَمَّا قَرَأْتُ فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وتأثرت كثيراً، وبكيتُ بكاءً ووجدتُ له طعمًا ولذةً، وطال وقوفي عندها، وأنا أتأمل كفاية القرآن، وما فيه من الرحمة والذكرى.

١١) ﴿بَدِيرُ الْأَمْرِ﴾ كنتُ سابقاً أهتم في شؤون الحياة كثيراً، وأرهق نفسي بذلك، وعندما تفكرتُ في هذه الآية: أيقنتُ أن الله جل وعلا هو المدبّر المتصرّف في خلقه، وأن على المؤمن أن يتوكّل على الله، ويعمل بالأسباب.

١٢) في ظلّ التقلبات والاضطرابات العالمية والإقليمية، ما قرأتُ هذه الآية إلا أضافتُ إلى نفسي نوعاً من الاطمئنان، وهي قول الحق تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

١٣) حفظتُ القرآن وعمرى (١١ عاماً)، ثم ضيّعتُ ما حفظتُ، ثم وقفتُ يوماً متدبراً لهذه الآية: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ فعقدتُ العزم مستعيناً بالله: فراجعتُ القرآن وأتقنته، وحصلتُ على إجازاتٍ في الإقراء، وأصبحتُ إماماً وخطيباً لأحد المساجد.

١٤) كنتُ أستغفرُ وأتوبُ باستمرار، فجاءني الشيطانُ قائلاً: كلُّ هذا الاستغفار ولا فرج ولا إجابة! فتركتُ وسأوسه، فقرأتُ رسالةً عظيمةً من ربي، وهي قوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعِآمَنْتُمْ﴾ فقلتُ: نعم! والله إن ربنا لغني عنّا، وعن تعذيبنا! إنما هي ذنوبنا التي نسينا كثيراً منها، فأدّمتُ الاستغفار، والحمد لله.

١٥) كنتُ كثيرة العصيان في أوقات الخلوة، وأشعرُ بالندم وأنا لوحدي، وبعد فترة كنتُ مع رفقةٍ صالحة، وتذكرتُ أمرى، ودعوتُ الله أن يغفر لي، وأمسكتُ المصحف؛ فوفّقتُ عيني على قوله: ﴿رَبِّكَرَّأَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَرْبَابِ عَفْوَراً﴾ فبكيتُ، وعزمتُ على تزكية نفسي؛ لتكون أهلاً للمغفرة.

١٦) ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هذه الآية كانت درساً لي، عندما قرأتها شعرتُ كأني المخاطبة.. أريد الجنة، وأريد رؤية الله سبحانه! لكن أين العمل؟! ومن لحظتها قرّرتُ الاجتهاد في العمل الصالح.

١٧) من أعظم الأشياء التي كانت تصدّني عن التوبة: تلبس الشيطان عليّ في القنوط من رحمة الله، وأني صاحب ذنب لا يفتخر؛ حتى قرأت: ﴿لَمَّا كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُنَّ أَهْلَاءُ آلِهِنَّ فَأَنَّ اللَّهَ تَالِكٌ لِمَا تَلْسَنُ﴾ إلى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فإذا كان الله فتح باب التوبة لمن نَسب له الصاحبة والولد فكيف بمن دونه!

١٨) أنا طالب علم، وذات مرة توقّفتُ عند قوله تعالى: ﴿أَمْزَهُ قَبِيحٌ آتَاءُ الْبَيْتِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الأَخرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ فبكيت كثيراً على ضياع ليالٍ كثيرة، وأنا لم أشرف نفسي بالانتصاب قائماً لربي ولو لدقائق، فكان هذا البكاء مفتاحاً لبداية أرجو أن لا تتوقف حتى ألقى ربي.

﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُسْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ من عشرين عاماً كلما قرأتها أشعر أنني أنا المخاطب بها، وأحاول استعراض ما فعلت في الأسبوع، وأعلم أن السيئات كتبت ورفعت إلى يوم الحساب، ولن يُنجيني سوى كثرة الاستغفار والتوبة.

﴿ قَدْ يَضِيقُ صَدْرُكَ إِذَا سَمِعْتَ مَا يُؤَلِّمُكَ، وَقَدْ تَحْزَنُ لَذَلِكَ، وَقَدْ تَهْتَمُّ كَثِيرًا، فَتَحْتَاجُ لِمَنْ يَرَأْفُ عَلَى قَلْبِكَ، وَيُذَهَبُ مَا أَمَكُمُ، تَدَبَّرْتُ أَوَّخِرَ سُورَةِ الْحَجَرِ: ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْنَاكَ بَيِّنَاتٍ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ فوجدت العلاج الشافي الكافي، فيا لعظمة هذا القرآن وجميل لذته!

﴿ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَعْفِرُونَ ﴾ أَذْكَرُ أَنِّي فِي لَيْلَةٍ اخْتَلَفْتُ مَعَ زَوْجِي وَغَضِبْتُ، وَبَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنَ الْمَنْزِلِ أَخَذْتُ الْمَصْحَفَ لِأَقْرَأَ، وَبِدُونِ تَعَمُّدٍ فَتَحْتُ صَفْحَةً وَبَدَأْتُ أَقْرَأُ، حَتَّى مَرَرْتُ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَوَاللَّهِ لَكَأَنَّيَ أَوْلَ مَرَّةٍ أَعْلَمُ أَنَّهَا آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَرَدَدْتُهَا مَرَارًا فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا عَلَى قَلْبِي، وَهَذَا غَضْبِي وَقَرَّرْتُ الصَّفْحَ عَنْ شَرِيكِ حَيَاتِي اسْتِجَابَةً لِأَمْرِ رَبِّي.

يَسْمَعُونَ وَيَتَذَكَّرُونَ

﴿ ١ ﴾ كان لي موعدٌ بعد صلاة العشاء مع معصية، وفي صلاة العشاء قرأ الإمام قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَاكَ مِنْ كُلِّ مَاءٍ مَسْأَلَتَهُمْ وَإِنْ تَعَدَّوْا وَعَمَتِ اللَّهُ لَا تُحْصَوْنَ إِنَّكَ الْإِنْسَانَ لَقَلْبُومٌ كَفَّارٌ ﴾ فتذكرت ما أنا فيه من الخير والنعيم .. واستحييت، فأحمد الله على التوبة.

﴿ ٢ ﴾ كنت في ما مضى غافلاً لا هيأاً لا أفكر إلا في مصالحتي .. وذات مرة - وأنا أصلي - سمعت الإمام يتلو قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وكنت ممن يحفظون من كتاب الله لكني مقصراً في العمل، فخشع قلبي لها، ومن ذلك الحين بدأت حياتي تتغير، وبدأت أخشع في صلاتي، ولله الحمد والمنة.

﴿ ٣ ﴾ كنت مُعْجَبًا جِدًّا بِالغَرْبِ وَحَضَارَتِهِ، وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ كَانَتْ جَدَّتِي مَعِي فِي سَيَّارَتِي، فَأَخَذْتُ أَحَدْتُهَا عَنْ حَضَارَةِ الْغَرْبِ وَتَقَدِّمِهِمْ، فَتَلَّتْ عَلَيَّ قَوْلَهُ تَعَالَى مِنْ سُورَةِ الرَّومِ: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ فأيقنت أن لا شيء يعدل الإيمان.

﴿ ٤ ﴾ أشهد أن آية غيرت حياتي .. كنت مولعاً بسماع الأغاني الغربية، وذات مرة وأنا أسير بسيارتي ثم أقفلت المسجل؛ فإذا بقرائي في إذاعة القرآن يقرأ: ﴿ قُلْ يَجِبَادِي الَّذِينَ اسْرِفُوا عَلَيْنَ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْظَلُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ فشعرت أن الله سبحانه يدعوني إلى التوبة، ومنذ ذلك الحين والأغاني من أبغض الأشياء إلى قلبي بفضل الله.

﴿ ٥ ﴾ كنت على أحد الأرصفة مع زملائي، وصدري أضيئ من سَمِّ الخياط! فأتى أحد الدعاة - لا أعرفه من قبل - فوعظنا وقرأ قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ فتأملتها، ووقفت معها كثيراً، وكانت سبب رجوعي إلى الله.

﴿ ٦ ﴾ مما أثر في ذلك الخطاب المليء رقةً وعطفًا، من ذلك الأب المكلوم، والمفجوع بفقد ولديه: ﴿ بَيِّنْ أَذْهَبُوا فَحَسَبُوا مِنْ نُؤْسٍ وَأَخِيهِ ﴾ أبعد كل هذا يناديهم بكلمة ولا أطف منها: (يا بني)! أهذه رحمة أب بأبنائه الذين أخطأوا عليه؟! كيف هي إذن رحمة أرحم الراحمين؟!؟

(٧) كنت واقعة في ذنب يشق علي تركه، وفي كل مرة أرتكبه يتملكني شعور بالضيق الشديد، وفي أحد الأيام فتحت المذياع؛ فإذا بقول الله عز وجل: ﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ يترتله أحد القراء بصوت مؤثر جداً؛ فاقشعر جسمي، وكان ذلك اليوم الحد الفاصل بين المعصية والإنابة إلى الله.

(٨) كنت لا أعرف طريق المسجد! والحياء عندي عبث في عبث! فسمعت يوماً قارئاً يقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ فتأملت في حالي؛ فأحسست حقاً أن كل ما كنت فيه من لهُو وعبث وضلال؛ ليس إلا لهثاً وراء سعادة زائفة! معيشة ضنكاً؛ فأطفأت السيجارة، وأشعلت أنوار الإيمان. أسأل الله الثبات.

(٩) حدثني أحد طلابي من الجنسية الفرنسية عن رحلته إلى الإسلام فقال: حين سمعت قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَتَابِعُهَا الْإِنْسَانُ﴾ شدتني براعة الاستهلال، والمُلو والثقة والقوة المطلقة التي يمتلكها قائل هذا الكلام، فأيقنت أنه ليس خطاباً بشرياً، فكانت هذه الصدمة البلاغية أول خطوات رحلتي إلى الإسلام. (أستاذ في جامعة أم القرى)

(١٠) كنت متهاونة في أمر الصلاة، وأعيش في ضيق، وتمرُّ بي أزمات ومشاكل لا طاقه لي بها، وأتمنى أن أجد حلاً.. وفي أحد الأيام سمعت قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ فانتبهت وقلت لنفسي: إن ربي يأمرني أن أستعين بالصبر والصلاة، وأنا لا أزال مُضطرّة؛ فكانت نهاية التقريط في تعلمي بالصلاة.

(١١) عندما أسمع أو أقرأ هاتين الآيتين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْحَيْرَاتِ﴾، و: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ في جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ أتساءل: كم سبقنا إلى الرحمن من سابق، وتعب في مجاهدته نفسه، لكنه الآن صار من المقربين! فأعود إلى نفسي وأحقرها إذا تذكرت شديد تقصيرها، وأقول: يا ترى أين أنا؟

(١٢) كلما قرأت هذه الآية: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ أو سمعتها أو ذكرتها؛ أحس قلبي يتقطع، إذ لا أعلم من أي الفريقين سأكون؟ أسأل الله أن يجعلنا من الذين: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

حلاوة التدبُّر

(١) آية عشتُ معها، وأصبحت منهجاً في حياتي: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عِنْدَ مَسْئُولٍ﴾ فإذا حدثتني نفسي -خصوصاً إذا كنت خالياً وعلى النت- أن أرى ما لا يرضيه سبحانه؛ جاءت هذه الآية أمامي لتردعني.

(٢) هذه الآية: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ غيرت حياتي.. فأصبحت عباداتي وشؤون حياتي اليومية -مع زوجي وأبنائي ومع الصغير والكبير بل والقريب والبعيد- على أساس تعظيم شأن كل طاعة ومعروف وإحسان وبر، مهما صغر ولم يؤبه به، وكذا تعظيم المعصية أو الإثم والسيئة والأذى مهما قل أو احتقر شأنها الآخرين، فصرتُ أنصح وأمر وأنكر بها.

(٣) تغيرت حياتي بسبب قوله تعالى: ﴿أَدْحَسِبْتُمْ أَنْ نَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَلُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الظَّالِمِينَ﴾ فقد كنت مقصرة، وأظن أن الالتزام صعب، فتدبّرت هذه الآية، فأثرت في كثيراً، وتذكرت ماذا سيصيبني مقابل ما حصل للصحابة، وما هي الصعوبة التي أمامي؟ لا شيء! وأحسست أن الله شكّر لي التغيير اليسير مني، ووقفني للالتزام بالشرع كله بإذنه تعالى.

- (٤) وقع بيني وبين زوجة أخي سوء تفاهم، وهي التي أخطأت في حقي، وبدأت أدعوري كيف أتصرف؟ فوصلتني من جوال تدبر رسالة عن قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ السِّيئَةَ﴾ ففعلتُ بها، والآن أمورنا أحسن.
- (٥) أقرضتُ قريبةً لي ٥٠٠٠ ألف ريال، فلما تذكّرتُ قوله تعالى: ﴿وَأَنْ نَّصَدِّقُوا خَيْرَ لَكُمْ﴾ سامحتها، فعوّضني الله أن فيّض لي أحد أقاربي فسدد عني أقساطاً بأكثر من ١٠٠,٠٠٠ ريال.
- (٦) حاولتُ - بعد عدة محاولات - الامتثال لقول الحق جل جلاله: ﴿إِنْ رَحِمَتِ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فوجدتُ ما سرنى، مع أنني لم أحسن إلا بالقليل، إلا أن رحمة الله كانت أسبق، فسبحانه جل في علاه.
- (٧) ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَعَهُمْ وَمَا هُمْ بِأَعْيُنِنَا﴾ والله الذي لا إله غيره، لقد جرّبتُ الحالتين، فلمستُ الفرق الذي أثبتته هذه الآية؛ حين نَفَتِ التماثل بين حالة العاصي وحالة المؤمن.
- (٨) كلما أحاطني اليأس، وسكبتُ عيني أدمعي، وأقضتُ الألم مضجعي، أتذكّرُ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ راجية ما عند ربي من ثواب، ست سنوات من المرض! ها أنا أحتسب آلمها وأوجاعها؛ بما هو عند الله من ثواب، مستشعرة هذه الآية العظيمة.
- (٩) عالجتُ مشكلة ضعف الخشوع في صلاتي بتذكّرُ هذه الآية: ﴿وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا﴾ فكلما تذكّرتُ الوقوف بين يدي الله والعرض عليه - وأنا أصلي - زاد خشوعي حينها؛ لأن صفة العرض في الصلاة تشبه صفة العرض يوم القيامة.
- (١٠) هذه الآية غيرتني: ﴿لَنْ نَنالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا حُبِبْتُمْ﴾ فعندما تأملتُها قلت لنفسني: أنا لن أدخل الجنة حتى أنفق مما أحبه، كنتُ أحبّ النوم فصرتُ أترك منه جزءاً كبيراً وأقوم الليل، ولما أضعف أتذكر الآية!
- (١١) كنتُ أعاني من همٍّ وضيق، فسمعتُ شرحاً لقصة موسى، ورأيتُ كيف أنه لما أحسن للفتاتين، وسقى لهما، ودعا ربه أتأمّ الفرج، وكانت عندنا مستخدّمة بالمدرسة فقيرة؛ فأحسنتُ إليها، وطلبتُ من الله الإحسان؛ ففرج الله همّي وشرح صدري، وصدق الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾.
- (١٢) ﴿يَوْمَ يُنَالِي السَّرَائِرَ﴾ كل إنسان سنظهر سريرته وينكشفُ مخبؤه وسيظهر مستوره.. يا له من يوم.. حقاً لما تدبّرتُ هذه الآية حرّكتُ مكامن الخوف عندي، رغم أنني أحفظها وأرددها. وصرتُ أتقي الله في خلوتي وفيما أحفظه في سريرتي.
- (١٣) كنتُ كغيري أقرأ القرآن بسرعة وهذرمة، وكان همي آخر السورة! وكنتُ أقرأ في الساعة الواحدة ثلاثة أجزاء، فلما استمعتُ إلى كلمات أحد مشايخي عن التدبّر وأثره في صلاح القلب، بدأتُ أدرب نفسي على ذلك، فصرتُ - بحمد الله - لا أجد لذة للقراءة إلا بالتدبّر، حتى إنني قد أبقى في الجزء الواحد نحو ثلاث ساعات، فأدركتُ شيئاً من معاني: ﴿لِيَذَّبُوا أَبْتِهَةَ﴾.

(١٤) آية من كتاب الله كانت سبباً بعد توفيق الله في تركي لمعصية طالما نغصت علي حياتي، هي قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ اللَّهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَمَّ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عَشْنَوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾.

(١٥) وجدت هذه الآية في حياتي: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْمُسِنَّةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فكلما وقعت خصومة أو سوء فهم، تدبرت هذه الآية، واجتهدت في الإحسان، فأجد تسامحاً عجبياً، وقناعة ورضى عن نفسي ولله الحمد.

(١٦) كنت في طريقي في إحدى الإجازات لفعل الفاحشة وفجأة، تذكرت وقوفي بين يدي الله، وتذكرت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَنشَهُدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فغيرت مساري، ورجعت لبيتي، فحمدت الله على فضله أن عصمني من كبيرة من كبائر الذنوب؛ بسبب تدبر هذه الآية.

(١٧) كنت متأثراً ببعض الذين سلخوا منهج ما يُسمى بـ(التنوير)؛ لأنني كنت أرى فيهم استقلالاً فكرياً وشرعياً! فلما تدبرت كتاب الله بتجرد، وتأملت في واقعهم وتفكيرهم، استبان لي ميلهم عن المنهج الصحيح، ورأيت فيهم تمييزاً لأحكام الدين، وتنازلاً بسبب ضغط الواقع، فرجعت للمنهج الحق، هداية الله وإياهم للحق.

(١٨) تمرُّ بنا أحياناً ضائقة قد تبيكنا أو حتى تدمينا ألماً، ولكني أعزي نفسي بهذه الآية: ﴿إِن مَّعَ الْعَسْرِ يُسْرٌ﴾ (إِن مَّعَ الْعَسْرِ يُسْرٌ) فوجدت الراحة التامة، حتى وأنا في أحلك الظروف أبتمس، لأنني أعلم يقيناً أن بعد العسر يسرين.

(١٩) جَلَسْتُ مرّة مع شباب ممن انغمسوا في قراءات فكرية منحرفة، وسمعتهم يستشهدون لأفكارهم بمقولات الفيلسوف الفلاني والمفكر الفلاني؛ ممن لم يَشْمُوا رائحة الوحي! - والابتسامة تملو وجوههم! - فقلت لهم: هذه الأفكار موجودة في القرآن، ثم تلوت الآيات، فتمعرت وجوههم، فتذكرت عندها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ فكانت هذه من عوامل هدايتي الفكرية.

أطفالنا والتدبير

(١) طفلة صغيرة (عمرها خمس سنوات) ضربها أخوها الذي يكبرها قليلاً، وحينما أرادت الأم أن تعاقب الابن؛ فوجئت بصغيرتها تقول: لقد سامحته كما فعل يوسف وسامح إخوته! (وكانت الأم قد قصت عليها قصة يوسف قبل ذلك).

(٢) لي ابن صغير، عندما أعدّه بشيء ولا أنفذه، أو إذا شعر أنني أكذب؛ يذكرني: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ وَوَجَّهُهُمُ مُسَوِّدَةٌ أَلْبَسَ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أتريدين هذا المصير؟! فما أجمل أن نجعل لأولادنا شعارات قرآنية نتحاكم إليها!

إيحاءات تدبُّرية

(١) ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أعطيتي هذه الآية بضمناً أنّ هذه الدنيا ممرٌ امتحان وعبرٌ، فهنيئاً لمن صبر، وحمد ربّه وشكر، وأنّها لا تكتمل فرحة فيها، ولا بد من تكّد إما من: زوج، أولاد، جار، مرض، فقر؛ فأرتحت ورضيت بما قَسَم لي ربي من الابتلاءات؛ لأنّ غايتي رضى الله.

(٢) بقّع مني ندمٌ كثيرٌ على أشياء كثيرة وقعت في الماضي، فتأتي هذه الآية: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ لتكون بلسماً شافياً لقلبي.

(٣) آية تستوقفني كثيراً: ﴿أَفَنَنْتَقِي بَوَجهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يا له من مشهد فظيع من مشاهد المعذبين في جهنم! الأيدي مغلولة فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه! إنه مشهد يكفي لردع العصاة عن معصيته، لو تخيل أنه ربما يقع له.

(٤) لقد وجدت التوبة علاجاً لداء الضيق والهموم والغموم التي أورتها الذنوب! هكذا أوحى لي هذه الآية: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُوا أَنَّ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

(٥) قال تعالى: ﴿الَّذِي يَرْبِكُ حِينَ تَقُومُ ﴿٣٧﴾ وَتَقْلِبُكَ فِي السُّجُودِ﴾ فكرت كيف هو قيامي في الصلاة؟ الله يراني فكيف قبل عليه في صلاتي؟ فخلجت عند ذلك، ورأيت أنّ أكثرنا لا يؤدي صلاته كما لو أنه يستشعر أنّ الله يراه، فهي مجرد حركات رياضية، لا روح فيها.

هذه رسائل كتبها القلوب بدموع المحاجر؛ لتعبّر عن تأثير هذا القرآن على النفوس، وكيف غير حياة أولئك الذين تدبّروه، فنعم العيش العيش مع القرآن، ونعم الحياة الحياة مع القرآن.

ونحن مع هذا لم نرد أن تنقطع قوافل المتدبرين للقرآن، بل نودّ منهم أن يجعلوا من القرآن خيراً صاحب ومعين في السراء والضراء، وأن لا يتوقف التدبّر عند آية واحدة، فالقرآن معين لا ينضب، وبحر لا تكدره الدلاء، وهو حبل الله المتين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه..

لا تذكر الكتب السوالف عنده طلع الصباح، فأطفئ القنديلا

فاللهم اجعلنا ممن يُقيم حروفه وحدوده، ولا تجعلنا ممن يُقيم حروفه ويضيع حدوده..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

تَدَبُّرُ
الْهِمَّةِ الْعَالَمِيَّةِ تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

www.tadabbor.com

tadabbor@tadabbor.com

تَذَكُّرٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَتُ رَبِّهِ لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ

القرآن غير نبي

عاشوا مع القرآن فتغيرت حياتهم

إعداد الدكتورة العويمة

الحمد لله الذي جعل القرآن هدى للمتقين، ونورا للمستبصرين، وهاديا لأقوم سبيل، ومعينا وخير دليل، فهدى به من الغواية، وبصر به من العمى، والصلاة والسلام على نبينا الذي كان خلقه القرآن، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، إلى يوم الحشر والفرقان.

وبعد: فهذه كلمات مختصرة، تحكي أحوال بعض من عاشوا مع القرآن، وأثر القرآن في حياتهم، فهنا تغيرت بوصلة حياته، وذلك ربي أطفاله على التدبر، وثالث نقل تجربته إلى غيره، فأحببنا أن نسطرها لكم؛ لتكون عوناً لنا على السعي الحثيث للعيش مع القرآن: تلاوة وتدبراً. وقد قمنا بتقسيم هذه الأحوال إلى عدة أقسام، حسب التناسب فيما بينها؛ لعل ذلك يكون أقرب إلى الفائدة والنفع.